الفضاء الروائي وتعالق الأنساق الثقافية في رواية الحي الخلفي

لمحمد زفزاف

دراسة ثقافية

الطالبة الباحثة: أمينة القرقري

تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الداهي

جامعة محمد الخامس بالرباط

المغرب

ملخص

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على مختلف الانساق الثقافية في رواية الحي الخلفي للكاتب الكبير محمد زفزاف، وذلك من خلال مكون سردي غاية في الأهمية وهو المكان باعتباره فضاء مفتوحا، وعنصرا فعالا في الرواية، وتبقى دقة المكان والعناية به ذات أهمية كبرى وحضور أكبر في الرواية، وهو ماجعل الكاتب الكبير يختاره كعتبة رئيسية لروايته، غايتنا في رصد تعالقية الأنساق في نص الرواية ان نكتشف زئبقية المكان في قدرته على التوسع واستعاب مختلف الأنساق الثقافية التي تتوارى او تتردد في الظهور بوعي من صاحب النص، وقد اعتمدنا في ذلك على منهج النقد الثقافي الذي يقوم على فكرة محورية وهي نقد الأنساق خاصة الأنساق الثقافية المضمرة في كل خطاب او المتوارية خلف النسيج اللغوي النصي، فيعمل جاهدا على فض العباءة الجمالية ابتغاء الوصول الى ما هو مختف ومتوار وراءها.

Abstract

This article attempts to shed light on the different cultural

consistency in the novel of the backyard of the great writer Mohamed Zafzaf space ", through an extremely important narrative component, the space as an open space, An effective component of the novel, and the accuracy and care of the place remains of great importance and greater presence in the novel, Which has made the great writer his choice as the main threshold of his novel, our purpose is to monitor the indispensability of consistency in the text of the novel, to discover the mercury of the place in its ability to expand and assimilate the various cultural stereotypes that fluctuate or hesitate to appear consciously from the author of the text, We have relied on the approach of cultural criticism, which is based on a pivotal idea, which is to criticize the stereotypes, especially the cultural stereotypes that are embedded in each speech or circular behind the textual linguistic fabric. and strive to break up the aesthetic cloak in order to get to the hiding and twisting behind it.

مقدمة

يعد النقد الثقافي من أحدث التوجهات النقدية والمعرفية، ويبحث هذا النشاط عن الثقافي داخل الأدبي، ويهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي، كما أنه يهتم بالثقافة الجماهيرية والهامشية، ويبحث في الأنساق الثقافية المضمرة لهذه المجتمعات، حيث يكمن لا وعيها الجمعي المتوارث الذي كثيرا ما ينغرس في لاوعي الكاتب، ويظهر في كتاباته الإبداعية المحملة بأنساق سياسية واجتماعية ودينية يسعى النقد الثقافي لكشفها والبحث عن دلالاتها المتوارية خلف الجمالي وذلك باستثمار الياته الإجرائية، ، ومن هذا المنطلق تولدت لدينا الرغبة في دراسة رواية الحي الخلفي للروائي الكاتب الكبير زفزاف من زاوية تحديد فضاء روائي لرصد الممارسات الثقافية المبثوثة فيه، والكشف عن ابعادها ومدلولاتها وفق تصور معرفي يتجاوز الدراسات المحايثة إلى افاق أرحب هدفه إدراج النص الروائي ضمن البناء الفكري للمجتمع، وتجعله يخوض في إشكالات عميقة ومصيرية، إذ بإمكان الرواية قول كل شيء من خلال الاحتماء بمكر اللغة وبالأنساق البنيوية للعمل التخيلي ، والتعبير بشكل جريء عن المواقف والافكار ،ذلك أن النسق الثقافي هو عنوان المجتمع وهويته.

من هنا نطرح مجموعة من الأسئلة من خلال دراسة نص الرواية الحي الخلفي: ماهية المكان ودلالاته في الرواية؟ وهل يقف المكان عند حدوده المعروفة أم يتجاوزه الى استحضار بنية من الأنساق الثقافية المتعالقة فيما بينها، والتي تؤسس لخصوصيته؟ ماهي طبيعة الأنساق الثقافية السائدة في المجتمع المغربي، والى أي مدى تكشف الأنساق الثقافية عن أبنية المجتمع وعن نظمه الاجتماعية والسياسية والتاريخية والفكرية؟ والى أي حد تشكل تلك الأنساق معيقات لعملية التحديث المجتمعي؟

لا شك أن المكان يتبوأ منزلة معتبرة في النص، وحضوره مرهون بحسن استثمار الكاتب له، وفي خضم صراعه مع مخيلة المبدع تنمو مكونات النص مع المكان لترسم معلما مضيئا في مسار النص، فيلفتنا الى دوره الفعال واليته المحكمة في احتضان كل مكوناته، ولاريب أنه جوهره ومحيطه الذي تبنى الأحداث من حوله.

1-المكان والنسق الثقافي

لعب المكان في الرواية دورا فعالا باعتباره المحرك الاساسي لبنية أحداثه وتسلسل أزمنته واختلاف موقفه، وقد اجتهد النقاد الغربيين في دراسة أهمية المكان كما وصفه شارل كريفل charlescrival بأنه الذي يؤسس الحكي، لأن الحدث في حاجة الى مكان يقدر حاجته الى فاعل والى زمن، والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة1

وقد نقل لوثمان المكان من المستوى الفلسفي الى المستوى السيسيولوجي وأكد على أهميته تحت نظام العلاقات القائمة بين الأشياء التي تخضع بتغيرات مختلفة في الأشكال، معتبرا" أن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان بمراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به، نقول أن هذه النماذج تنطوي دوما تحت سمات مكانية،2فطبيعة النسق تدرك من خلال الوظيفة التي يؤديها داخل النص، وهذا ما يمنح لجغرافية المكان الخصوصية النسقية في تنظيم علاقات الأفراد والأشياء والأفعال، كما يرى عبد الله الغذامي أن الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية وراسخة لها الغلبة دائما3، أي أنها تتكون داخل معطى مكاني تتجلى داخله السيرورة النسقية التاريخية، إنها موجودة قبل وجود الأفراد فهي تتحكم بتكوينهم وبمعزل عن إرادتهم، فالأنساق تحدد توجهاتهم وتساهم في رسم مستقبلهم قبل أن يولدوا4

2-المكان الفضاء

أكد سعيد يقطين أن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير الى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسا يسمح لنا بالبحث عن فضاءات تتعدى المحدود والمجسد، بمعانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء5. وقد عرفه الناقد حسن نجمي على أنه فضاء تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال معيارا لقياس الوعي والعلائق والتراتبات الوجودية والاجتماعية والثقافية، ومن ثم تلك التقاطبات التي انتهت اليها الدراسات الأنثروبولوجية في وعي وسلوك الافراد والجماعات6.

للمكان دور مهم في تفعيل العمل الادبي والفني فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية، فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة وفهم كل حدث وتفاعلات الشخصيات وحركيتهم في المكان.

3-العنوان الشيفرة الثقافية

يشير العنوان الى المكون المكاني التي تجري فيه الاحداث الرئيسية للرواية، ويتكون من كلمتين الحي و الخلفي، وقد جاءت كلمة الحي معرفة بال للدلالة على شيء معين ومعهود ذهنيا، انضافت اليه صفة "الخلفي" التي جاءت معرفة أضافت الى الحي مقومات جديدة اسهمت في تخصيصه وتمييزه على نحو يبعث على الغموض والالتباس، فالحي كمكان يقوم بدور مهم في الرواية، حيث يضفي جمالية بارزة فيها، فكلمة حي في اللغة مأخوذة من الحياة ، وللحي معان كثيرة في اللغة منها البين ، الواضح، ومنها الحق، ولعل الحي من أكثر أسماء الأمكنة العربية التي تشير الى معنى الحياة وحركتها الدائمة7.

الحي الخلفي كمكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو محور أساسي من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، إن لجوء الروائي لوصف المكان يقصد من ورائه بث المصداقية فيما يروي بأن يجعل المكان مماثلا في مظهره الخارجي للحقيقة، "الطريق الرئيس عمارات أربعة طوابق شبابيكها مغلقة، بين العمارات هناك مساحات أخرى إما مستوية أو محفورة نبتت بها أعشاب قصيرة متوحشة أو تكومت فيها أتربة من مخلفات الحفر8

يلعب المكان دور المفجر لطاقات المبدع بحيث يسهم في تحريك شخوص الرواية بما يتلاءم في النص الروائي مع المكان والزمان، وبذلك فهو يعبر عن مقاصد المبدع، فقد رسم لنا الراوي هذا الحي رسما دقيقا بعد أن أضاف له صفة الخلفي، إنه وسط بشري هامشي يعاني سكانه البؤس والشقاء، والمكان في الرواية أهم عنصر يتم فيه حركة الشخوص ويحتدم الصراع ليخلص الى نتيجة يريدها الروائي أو يكتشفها المتلقي في شخصية تصف هذا المكان" اه لو وجدت رأسمال لما عدت الى تلك الحفرة أبدا9

يعد الحي من الأماكن المفتوحة، فمن الناحية الاجتماعية يعد ذا كثافة سكانية كانت سببا في مظاهر كثيرة، ومشكلات نفسية واجتماعية وظفها المؤلف في تشكيل صورة الحي في الرواية، وعنوان الحي الخلفي يحمل بعدا مكانيا يتعلق بالقيم السكانية التي يزخر بها الحي بكل فئاته وشرائح مجتمعه، وصفة الخلفي تفيد الهامشي لاعتبارات جغرافية من خلال تموقعه على هامش المدينة وهو يقابل الحي الراقي الذي يتوسط المدن.

يحيل الحي الى دلالة الحياة والحركة مما يجعله فضاء مفتوحا للانتقال والحركة وهذا يسمح للشخصية بالانتقال والخروج في فضاء فسيح، هذا الفضاء يزيد من انتقال الشخصية بحيث تتوالد الأمكنة وتتداخل بعضها ببعض.

4-النسق السياسي

الأدب هو المرآة الحقيقية للواقع، حيث يعكس تجلياته وحراكه الاجتماعي والسياسي والثقافي، وانشغال الرواية المغربية بهموم المجتمع هو دليل على أن الفساد في هذه المنطقة ذات الطبيعة الخاصة من حيث الثقافة والتاريخ والعرق، هو فساد يحمل أثرا واحدا في حراك المجتمع الذي يحاول التخلص منه حتى لو كان ذلك عن طريق نقده من خلال الكتابة الروائية.

لا يمكن أن ننكر أن الفساد السياسي وتراكماته على النخبة المثقفة هو السبب الذي دفع الروائي زفزاف الى كتابة روايته التي كانت السياسة هي متنها، و الفاعل الحقيقي والمحرك للحدث، إنه السلطة الظالمة التي جعلت الشخصيات في حالة اكتئاب وهوان وانهزامية، ومحاولة الهروب من الحياة، والانعزال داخل حي خلفي، وربما كان المحرك الأساسي لكتابة رواية الحي الخلفي عند زفزاف هو طغيان النظام السياسي المتمثل في نظام المخزن، وانعكاسه على حياة أشخاصها من انكسار وانهزامية وقد يفضي الى الانتماء للحي الخلفي، وقد تكون له نتائج أخرى وهي تحدي الذات المنكسرة لتنتقل من ذات مهزومة ومظلومة الى ذات تمارس الظلم، لأن قاعدة النظام تجعل المواطن إما ظالم أو مظلوما، هذا ما يقدمه نموذج شخصية "القايد" الذي كان يمارس مهنة التعليم لكن بعد أن تعرض لموقف مذل أمام أسرته ، ما جعله يطمح أن يصبح عنصرا من عناصر سلطة المخزن القمعية، لأن شعور الذل ولد لديه رغبة أن يكون هو المذل وأن يمارس فعل الاذلال ليستشعر نشوته "ظللت صامتا الى أن تعلمت وتخرجت أستاذا وصفعني شرطي وقال لي انزل ومن تكون هذه القحبة، فقال لي دماغي اجتز المباراة والتحق بالأكاديمية لكي تصفع أناسا اخرين"10

عمد السارد في رواية الحي الخلفي على تمرير مجموعة من الافكار التي ترتبط بالنسق السياسي الذي جاء خادما للنسق الثقافي العام الذي يتوج لخطاب الرواية، جاءت الرواية محملة بمجموعة من المضمرات التي تتعلق بهذا النسق ويمكن الكشف عنه من خلال شخصية المعلم الذي أصبح قائدا.

لقد رسمت الرواية في المقطع المعنون "بالصفعة" صورة السلطة السياسية المغربية العنيفة القائمة أساسا على توظيف سلطة إحكام الخوف عن طريق القدوة الباطشة بلا سقف أخلاقي أو سياسي، ويحكي السارد عن المعلم "أنا أعرف ما يفعله الأعوان من ارتشاء وابتزاز للمواطنين سواء في الحي الخلفي أو في الأحياء الاخرى لكني أستر كل ذلك بثوب شفاف، إنهم يعيشون والأخرون كذلك يعيشون وأنا ايضا أعيش والمعلم المطرود يعيش كذلك معهم11

فالسلطة السياسية في المغرب حسب الرواية تكيل بالمكاييل تتقوى على ساكنة الاحياء الخلفية لكنها لا تتجرأ على أصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي" إن سيارات الشرطة لا تقف أمام الفنادق الكبرى، إن التهمة عندهم جاهزة دائما، السكر والفساد، واذا تم أدنى احتجاج فستنضاف هناك تهم أخرى مثل إهانة موظف أثناء مزاولة عمله، ألا تعرفين بلدك؟12

ويسرد الراوي على لسان القايد: "لكن المغرب جميل، وما يعوزه هو أن تكال لكل واحد منا صفعة، سواء على خده أو على قفاه، لقد تلقيت الصفعة وأنا الان أحمد الله وأشكره، لست نادما على شيء لكن الوطن يبقى هو الوطن، وإن كنت للأسف عاجزا عن الصفع، فهناك من يصفع نيابة عني13

إن تكوين مواطنين بالمواصفات المخزنية المطلوبة يتم عبر منظومة كاملة لإعادة التأهيل عبر استراتيجية الاخضاع والاذلال، والتي تسلب الانسان إحساسه بكينونته وهويته الوطنية "وهم بدون هوية دائما إلا وقت الانتخابات إذ يخرجون كالجرذان ليقولوا بصوت واحد (نعم) وبعد ذلك يعودون الى جحورهم المظلمة"14وتستهدف عملية التأهيل تجريد الذوات من مقوماتها الأصلية، وطمس معالمها القديمة لتتخلى عن البحث عن المعنى وعن الحرية والارادة، وذلك بنهج أسلوب التلفيق و القمع، فالمطلع على الحوار

الذي دار بين الشرطي والأستاذ الذي يركب سيارته رفقة زوجته يتعرف على نظام مخزني ينتهج سياسة القمع والترهيب وتلفيق التهم: لماذا توقفت هنا ؟ من تكون هذه القحبة؟ ولماذا وقفت بسيارتك أمام مركز الشرطة؟ هل تريد أن تلقي قنبلة؟ هات أوراقك ماذا تعمل بالضبط؟." فقيه ومعه قحبة، ألا تخجل من نفسك يا بن الكلبة؟15، تهم كبيرة وجاهزة تلصق برجل التعليم لرفقته زوجته دون أن يحملا معهما عقد زواج.

لقد عملت رواية الحي الخلفي بإصرار على ممعن التشريح لشخصيات تنتمي لحي هامشي وخلفي، وذلك باستخراج كل الصفات النفسية الوجدانية والفكرية والثقافية وأيضا السلوكية العملية، والتي تميز بها ساكنة الحي الخلفي، وتشكل عندهم خصوصيات تؤطر سلوكهم ومواقفهم وردود أفعالهم.

لقد اشتغلت الرواية على الوجه الحقيقي والواقعي للنسق السكاني المهمش، وهي صورة سلبية للغاية ومنحطة وباعثة على الخيبة والإحباط، كما حرصت على إخراج تلك الصورة ووجها الخفي، وأمعنت في كشفها وعرض اعتلالاتها ومناطق تشوهها.

5-النسق الديني

الكتابة اختلاف كما يرى جاك دريدا، والاختلاف نقد لمركزية البنية ونقد أيضا لسلطة المعنى المشترك في صيرورته، بمعنى أنها تنتقد الموروث عبر المتخيل، إذ تختفي الذات الكاتبة بنقد ومشاكسة قيم البنية العميقة التي تتحكم في الوعي الجمعي16. قدم زفزاف في روايته صورة الدين وطقوسه ومعتقداته، على اعتبار أنه العنصر الذي يكون هوية الانسان، كما أنه العماد الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية والفكرية والعاطفية. ويعرف اميل دوركهايمالدين "هو نظام موحد من المعتقدات والممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة ، أي أشياء يجري عزلها وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين بها في جماعة اخلاقية واحدة"17.ومن ما سبق فإن إقامة الدين مقتضاه أن الانسان يدرك علاقته بربه وبكل البشر، فالدين هو هدي الهي، يتصف بالاستقامة والسمو الروحي، وفي حالة الابتعاد عن تعاليمه تكون الفوضى والانفلات يقول الراوي" لكن شرطيا خرج من وراء جدع شجرة وهو يمضغ شيئا في فمه: إنها فوضى حقيقية في هذا البلد المسلم: السكر والفساد"18 ويقول في معرض اخر بسخرية قاتمة "أو أن يؤتى بسياف ليقطع رأسه أمام الملا فينصرف الناس بعد أن يكونوا قد شاهدوا ذلك المنظر الى المساجد لأداء الصلاة هذا بطبيعة الحال في بلدان دين الرحمة والاخاء، والتعاطف والمودة والاحسان، والخير والعدل ونكران الذات، والتسامح والتفاهم وإعطاء كل ذي حق حقه، وبلد عدلت فنمت مقتولا يا عمر"19، يقدم زفزاف سردا يضمر المفارقة الايديولوجية المتمثلة في هذا النشاز بين الموروث من تعاليم الدين وقيمه، وبين ما يصدر عن الشخصيات من أفعال وسلوكات مناقضة لمعتقداتها "إن الله يمحو كل الذنوب عندما يتوب الإنسان في نهاية الأمر فيصدق ويصوم ويصلي ويذهب الى الحج لزيارة قبر الرسول ص وأنا متأكدة أن الله سبحانه سوف يغفر لحليمة عندما تكف عن الكذب20

أ- أسماء الشخصيات والمرجعية الدينية

الأسماء في الرواية لا تختار بمحض الصدفة، بل الراوي يضع أسماء تعبر عن فكرة أو ايصال رسالة، ولقد أسند زفزاف لشخصياته أسماء لها دلالاتها الدينية، فخديجة وحليمة هي من الاسماء المحبوبة والمنتشرة، لما لها من الحمولات التاريخية والدينية فخديجة أم المؤمنين وزوجة الرسول(ص) وحليمة مرضعة الرسول(ص)، وهي أسماء تدل على المقدس الموروث، لكنها أسماء تورد داخل نسق مدنس وهو الجنس والخمر "خديجة، حليمة، كريطة أين كاسي؟ "حليمة إنها تحمل اسم زوجتي تفووو"21، وحليمة الزوجة الخائنة التي تركت زوجها بعد أن طردوه من عمله، وهربت مع رجل يهودي الديانة، وهذا التوظيف للأسماء يطرح المفارقة بين المقدس من تعاليم دينية تحرم

علاقات الزنا والمتاجرة بالجسد، فتظهر هذه الشخصيات نوع من الدناسة من خلال الأفعال والممارسات المرتكبة التي تقوم بها، فالدناسة هنا حملتها الأفعال لا الأسماء.

6-المكان ونسق اللغة

إن الرواية كجنس أدبي ليست سردا للأحداث فحسب، بل تكشف النقاب عن بنى من واقع مجتمعي معاش، إن لها القدرة على ربط التجربة الوجودية للإنسان بالسرد، وقد استطاعت الرواية أن تفتح النصوص على الإنسان والعالم بحيث أصبح النص وسيطا لا غنى عنه بين الإنسان والعالم، فالروائي بحاجة ماسة الى نقل المجتمع بلغته وثقافته ونمط تفكيره كما هو لحركته وما يدور فيه بصدق.

لم يكتب زفزاف الرواية بدافع المتعة، وإنما باعتبارها الفضاء الحاضن للعوالم المتعددة، والقضايا الكبرى والمصيرية في وجوده، والتحولات العميقة التي واكبت سيرورته، لذلك كانت اعماله الروائية تستجيب للخصوصيات الفنية التي ميزت الرواية الحديثة، من خلال النزوع الى التلميح والإشارة عوض الاغراق في التفاصيل والجزئيات، والاحتفاء بالأصوات المتعددة التي تدخل في صراع فكري يعبر عن واقع الأنساق الذهنية السائدة في المجتمع المغربي، أشكال وتقنيات فنية تؤكد الاطلاع الكبير للكاتب الكبير على نظريات الرواية وقراءة النصوص العالمية والتأثر ببعض الاتجاهات الفكرية التي تهم جنس الرواية.

نستطيع من خلال قراءتنا لرواية الحي الخلفي ورصد اللغة الحوارية لشخصياتها أن نحصل على صورة واضحة للواقع كما تشخصه أحداث الرواية، وأن نرى ونسمع ألفاظ وكلمات وصيغ تعبيرية تنتمي للمحيط الشعبي، والتي يعرفها كل مغربي، فالحي هو حي خلفي هامشي تنتمي له طبقة من الأسر والمهمشين هم فئة شعبية تمثل قاع المجتمع، لذلك تنوعت لغة الحوار لشخصيات الرواية بأسلوب لغوي بذيء ومتبدل.

أ- التهجين اللغوي واللغة الخلفية

يتحدث حميد لحمداني عما يسميه ميشيل بورتو بالفضاء النصي، ويضيف اليه ما ينعته بألواح الكتابة أي وجود نص أصلي يقابله نص أخر بلغة اخرى او لهجة من اللهجات يقول: نجد في الرواية ماي مكن تسميته بالكتابة المتخللة، بحيث ترد داخل الكتابة الأصلية بالنسبة للرواية العربية اللغة العربية كلمات أو فقرات أجنبية أو من لغات شعبية22، إن الكتابة المتخللة تعد مؤشرا على التنوع والتعدد مادامت تدخل في علاقة تأثير وتأثر بلغة الرواية العامة، وهو ما يعمق حوارية الرواية.

يورد الروائي زفزاف المفردات الدارجة مدمجة في صياغة تركيبية عربية فيقوم بإيراد مقاطع حوارية باللهجة المغربية، واحيانا يوظف مفردات لها خصوصية ثقافية، والمغربي يعرف كلمات مثل "عوك عوك، دين امك، الحبس، البوليس الكوميسارية، ولد كذا وكذا الى اخر ذلك من شتائم قاموس المغربي "23كل ذلك من أجل موضعة الرواية في سياقها المكاني وهو الحي الخلفي، وتسليط الضوع على خبايا الأحياء الخلفية الغير المرئية أو الظاهرة للناس، وأيضا سعي الى ربطها بالإطار المرجعي الواقعي، بغية الإقناع بصدقية أحداثها ووقائعها، فالمتجول بين صفحات هذا الكتاب الأدبي يتصادم مع مجموعة من النماذج اللسانية المقطوعة بواسطة متواليات وعناصر لسانية لم يتوقع القارئ رؤيتها خلال هذا العمل الادبي، توضح ذلك جملا مثل" اضرب دين مها فرقع ليها العين، شربت أمس حتى تقبت مصاريني24

إذا لم توجد الأم فهناك الاخت او أية قحبة اخرى25

سيري بحالك الحمارة سيري بحالك الخانزة26

مالك هل انت مزروب الذين زربوا ذهبوا الى القبر 27

المغاربة يقولون اللسان ما فيه عظم28

فضلت أن اصمت وأنصت لعظامي كما يقول المثل الشعبي29

وهو أسلوب سردي نهجه زفزاف ليجعل القارئ أكثر تفاعلا مع الشخصيات باعتبارها شخصيات واقعية، وايضا ليمنح للفضاء خصوصيته الثقافية كونه حيا هامشيا خلفيا.

خاتمة

إن دراسة الأنساق الثقافية المبثوثة في النصوص الروائية تعيد الحياة للمؤلف وللنص وللقارئ، ضمن عملية تداول دائرية تسعى الى ربط النص بالبنيات الثقافية السائدة في المجتمع، ومناقشة اختيارات المؤلف ودرجة تفاعله مع الأنساق ووعيه بواقع مجتمعه، أي تتبع الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة في الخطاب الروائي، والمكان ليس بقعة جغرافية وحسب بل له خصوصيات ثقافية، فالمكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فلنا أن نتصور حيا بوصفه حيزا للحركة الروائية، ما تلبث أن يصبح بذاته فاعلا في العمل الروائي يوجه الاحداث ويعمل في الشخصيات ويؤطرها، وهذا ما يبتدعه المكان تبعا لإبداع تشكيلته.

إن مساءلة واعية وبناءة للنص من منظور الأنساق الثقافية من شأنها تجديد أنساغ حياته وجعله قابلا للقراءة والتفسير من منطلقات جديدة، وبذلك يصير النص منفتحا على عالم التأويل وفق المرجعيات الثقافية ، بحيث ينفذ النقاش الى عمق الوعي الفردي لدى الكاتب باعتباره عضوا فعالا في المجتمع، يمتلك حقيقة واحدة هي حقيقة النص الذي كتبه، ويبقى منفتحا على حقائق لا حصر لها، ومن منطلق كانت غايتنا مساءلة الانساق الثقافية في ارتباطها بالمرجعيات الراهنة بهدف اعادة الحياة للنص الروائي ضمن أزمنة لاحقة، صحيح أن النص الروائي يمتح عناصره البنيوية من مخيلة الكاتب الذي يمتلك قدرة فائقة على نسج عوالم مفارقة لعالم الحقيقة والواقع ، الا أن القارئ يعيد إنتاج المادة الفنية، ومحاكمتها في تعالق مع المعطيات الحياتية للمؤلف، والبيئة التي نشأ فيها النص، ومن ثمة يصير النص حمال أوعية تتساوى مع البنى الإدراكية التي يفرزها الواقع في تمظهراته المتعددة.

الهوامش:

1 جيرار جنيت واخرون الفضاء الروائي ترجمة عبد الرحيم حزل افريقيا الشرق المغرب 2002 ص137

يوري لوتمان مشكلة المكان الفني _المكان والدلالة_ ترجمة سيزا قاسم مجلة الف العدد 19866ص 892

3 عبد الله الغدامي النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية المركز الثقافي العربي 2005 طبعة3 ص21

نفس المرجع ص774

سعيد يقطين قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط 1997 ص2405

حسن نجمي شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية المركز الثقافي العربي ط2ص56

7شاكر نابلسي "جماليات المكان في الرواية العربية" المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة 1 1994 ص51

الرواية ص6و78

9 الرواية ص52

الرواية ص7110

الرواية ص7511

الرواية ص4612

13 الرواية ص76

14الرواية ص 7

الرواية ص6915

Jacques Derrida. Lécriture et la déférence. Editions du Seuil /1967/p 41016

مقال غنى ناصر حين القرشي، نظام الديني والمؤسسة الدينية.20 مارس 2019، https://zzz.uobqbybon.edu.ia17

الرواية ص 4018
19 الرواية ص60
الرواية ص3120
الرواية ص5921
22حميد لحمداني بنية النص السردي ص59
23ص35
ص2224
25ص24
25 ص41
ص5226
27 ص59
28 ص64
29 ص 64